خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٤ من شعبان ١٤٣٦ هـ / ٢٢ من أيار ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ورد في الحديث الصحيح، أن النبي ﷺ قال –وهو على المنبر–: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي)).

معاشر السادة: ما أعذب الماء البارد على شدة الظّمأ، وما أجمل القوة العادلة عندما تنساب برداً وسلاماً، فتحسم المظالم النازلة على الأفئدة الكثيرة، وتطفئ الآلام التي برحت بالآمنين والمظلومين والمستضعفين، إنه لا يَعرف فضل القوة المؤيدة للحق إلا مَن شَقي تحت وطأة العدوان دهراً طويلاً، إنه يَستقبل طلائعها استقبال المقرور بالدفء واستقبال المحب للحبيب، إنه يعتبر زحفها بوارق الصبح تشق جنح الظلام، ومعالم اليقظة تغزو البصائر والأبصار، ما أنبل القوة العادلة عندما تُحقق الحق وتبطل الباطل، بعدما كانت النفوس تزهق من باطل لبس مسوح الحق، ومشى في الأرض مطمئناً، ومِن حق علته زراية الباطل تتوارى عن الأعين مخذولاً ضائعاً.

إن القوة التي تقيم بين الناس الموازين بالقسط هي ما أمر الإسلام بإعداده وحض على بذل النفس والنفيس فيه، وفي القرآن سورة تلمح في آياتها صُورة الصراع الدامي بين جند الرحمن وجند الطغيان، وترى الفريقين قد ارتجت من تحتهما الأرض وثار من فوقهما النقع، أما هذه السورة فهي سورة العاديات، حيث بدأت بوصف رقيق لخير المجاهدين وهي تنطلق بأصحابها إلى الميدان، إنها تَركض حَثيثاً إلى غايتها، وفَوقها فرسانها المغاوير يتسابقون إلى لقاء العدو، ذاك ما أخذت السورة تصفه، فجاءت آياتها على هذا النسق:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١-٥] فإذا أحسست فتح الخير من طول لهفها أحسست كذلك انقداح الشرر تحت سنابكها، وهي تضرب الصخور في طريقها إلى ضرب المبطلين، وتُشعل النار التي سوف تَحرق وتُضيء، تَحرق جنود المعتدين وتضيء سبل الآمنين المغدورين، ثم تَجيء بعد ذلك غارة الصباح، وما غارة الصباح؟ إنها الضربة المفاجئة تنزل بالغاوين على حِين غرة، فيَستيقظون من غفلتهم على مَس العقاب ولات حين مناص، إنهم ظَنُّوا أن الدنيا دانت لهم، وأن الأوضاع استقرت تحت أقدامهم، وأن الفضائل التي طاردوها لن تجد من يحميها، وأن الرذائل التي أَلِفوها لن تجد من يَدوسها، فناموا وهم آمنون، بَيدَ أن للحق رجالاً تَستفزهم الآلام، ويُؤرقهم ما تلقاه الحياة من عبث الذئاب بأقدار العباد والبلاد، إنهم يتحينون الفرص حتى إذا سنحت انقضوا على المجرمين انقضاض الصواعق، تَمحق ما قاموا به من قتلٍ واعتداء وإجرام.

إنّ العاديات المغيرات مع الصباح ليست جيوش استغلال ونهب، إنها القوة جاءت مع مَوكب النور لتحرير العبيد من أوهام الظلام، ذَلك أن الباطل الْمُستلي بفجوره المستغرق بغروره لا يتخلى عن ضلاله القديم بسهولة، وربما تَفانى في التشبث بآثامه وأوزراه، ومن ثم فلن يَستطيع تأديبه إلا رجال لهم جرأة في الحق تَربو على جُرأة عدوهم في الباطل، ولَديهم حِرص التضحية في سبيل الله أشد من حرص أعداءهم على المغامرة والسطو.

ونحن -يا سادة- إذا راقبنا سير المعتدين في الأرض وجدنا السيادة التي يَظفرون بها أول أمرهم لا تعود إلى نقائص القوة في أنفسهم قدر ما تعود إلى آثار الوهن في صفوف غيرهم، حتى إذا رُزقت المثل العليا بأتباع مِن أولي النجدة والفداء لم تَلبث الحياة أن تَعود إلى رشدها ولم تَلبث الأصنام أن تتحول إلى أنقاض مُبعثرة في الرغام، وكيف تتم هذه الآيات الباهرة؟ تتم بالقوة وحدها، حين تنجد الحق المهزوم والخير المكلوم، فلا عجب -يا سادة- إذا أقسم القرآن بأدوات هذه القوة ومَجَّدَ طرقة عملها، ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ١-٢] إنه أقسم بصارمة الدواء على شدة الداء، أجل، فربما كانت مقاومة المعتدي عملاً يَنطوي في ظاهره على خشونة وقسوة، لكن هذه الخشونة وتلك القسوة تُعتبران دُرَّاً كريماً وفضلاً عظيماً، وكم ابتليت الحياة بمن ملأ فجاجها بهذه الخلال الخسيسة فحولها جحيماً تشقى بها الأفراد والجماعات، فسورة العاديات تُشيد بالقوة العادلة وتُؤيد عملها، وتُعلمنا أنه لا يُكل الحديد إلا الحديد.

إن تعبئة الروحية للفرد والجماعة ألزم للسير الدائب من البترول للسيارات والطائرات، ويوم ينضب المعين الروحي لإنسان أو أمة فلن تقف في الطريق فحسب، بل سيدفعها إلى الوراء اقتحام المتسابقين، وربما ذهبت بدداً تحت أقدامها الراكضة، فالروح المعنوية هي عاطفة حارة وهمة بعيدة، ومن ثم فالإنسان الكامن لا يَعرف انكسار الهمة ولا ثورة الخمول ولا استسلام الخور، إنه يدافع إلى آخر جهد في نفسه وإلى آخر رمقٍ في حياته، والإنسان الذي يُعالج الشدائد وهو مُطمئنٌ لا يهش إلا لمعنى أضمره في فؤاده وقَبِلَ من أجله الإرهاق فهو في الحقيقة يوازن بين ألمين: ألم التعب والكفاح، وألم الهزيمة والسقوط، فيختار أخفهما على رجولته، ثم يَمضي إلى هدفه، وحلاوة الرجاء الذي يَملأ روحه أشهى عنده من كل شيء، وأغلب على فؤاده من لسع الألم الذي يعانيه، وقد رأينا –يا سادة– أمماً يَفقد المرء فيها آباءه وأبناءه، ويقف أمام أنقاض بيته المهدم وأمواله الضائعة، ومع ذلك يَبقى في عينيه بريق يدل على الكفاح والعزم والإرادة، فعلام يدل هذا؟ يدل على أن النفس الإنسانية تَستطيع أن تُرخص أعز ما لديها وأحب ما إليها إذا أرادت ذلك، من هنا نُدرك أن الجندية ليس احترافاً ولا ارتزاقاً، ولكنها تطوع وفداء، أساسها العلاقة الموطدة مع الله ﷻ، وهدفها حماية البلاد ونصرة العباد، فالأوطان لا تنتصر إلا بهذه الروح المتفانية الصبور، وذلك لأن طلاب المجد كلفوا أنفسهم وأجسادهم فوق ما يُطيقون.

لقد ابتليت المجتمعات بنفر يتهيبون الأوضاع الباطلة كما يتهيب العميان المسير على شاطئ البحر، ويتهربون من مغارم البطولة كما يتهرب الأطفال من المناظر المهوّلة، إن هؤلاء الخوارين استحقوا أن يعيشوا لصوص أمجاد في ميادين القتال، وسرقة المجد كسرقة المال، أَمرٌ تَستنكره الشرائع وتأباه الطبائع السليمة.

وقد سخر الشعراء من هذا الواهن الخائر الخائف فقال له:

تبد للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأُزُرَا
فكابروا المجد حتى مل أكثرهم وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

إن الدفاع عن الحقوق والأوطان أصبح فرض عين على أمتنا جمعاء، والعدو الذي نُحاربه طَليعة خبيئة لشرور خطيرة تتهيأ للفتك بنا، وفي العالم اليوم حَقائق حَاربها التعصب، وحُقوق حَضنها البغي، وقوىً شرسة استمرأها العدوان، وعرب طمع فيهم من لا يدفع عن نفسه.

حتى رأينا البغاة في أرضنا يستنثروا.

وفي العالم اليوم نَرى طوفاناً نَجساً مِن التَّعصب ضد الإسلام وأمته وضد العروبة ولغتها، ألا نتعلم التعصب للشرف والعرض والأرض في هذه الظروف العصيبة.

معاشر السادة: إن الالتحاق بالجندية شرف عظيم، مَن أراد أن يتحلى بالشرف فليلتحق برجال الله، فليلتحق بركب رجال الله، رجال الجيش العربي السوري، الذين يُقاتلون على امتداد أرض هذا الوطن الحبيب، يُقاتلون من أساء للإسلام والمسلمين أولاً، ثم أساء للإنسانية ثانياً، ومن أراد أن يتعلم الرجولة فليلتحق برجال الجيش العربي السوري، الذين يُدافعون عن الأرض والعرض والشرف، ولا مَكان للمتخاذلين، ولا نامت أعين الجبناء، كما قال خالد بن الوليد سيف الله المسلول رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فالأمة العربية والإسلامية اليوم تُعاني حرباً شرسة متمثلة بالتحالف العربي، ما يُسمى بالتحالف العربي، مُنذ يومين اليهود المستوطنون يَقتحمون المسجد الأقصى، ويُعربدون ويَرقصون ويَسرحون ويَمرحون، وما يُسمى بالتحالف العربي أخزاهم الله كأن الأقصى أولى القبلتين لا يَعنيهم لا من قريب ولا من بعيد، وكأن أمر الأمة العربية والإسلامية وقضاياها وعلى رأسها قضيةُ فِلسطين الحبيبة لا تَعنيهم من قريب ولا من بعيد، أَمر يُسَوِّدُ الوجوه ويُنَكِّسُ الرؤوس، حال يجعلك تشمئزُّ مما تَرى وتسمع من الحال الذي وَصلت إليه العروبة والأدعياء إليها، أما نحن هنا في دمشق في سورية، نُعاني ما نعاني من إرهابهم وإجرامهم ومكرهم، ومع ذاك صَمدنا في البداية، وسنصمد حتى النهاية، لا نفاوض، لا نساوم، لا نتراجع، لا نخاف، لا نقلق، لا يتزعزع كياننا أبداً أمام هؤلاء الشرذمة الباطلة، لأننا أصحاب حق، أصحاب أرض، أصحاب قضية، أصحاب مصير ووجود، أصحاب حضارة وتاريخ.

وإننا من هذا المنبر نُخاطب أبناء هذا الوطن الحبيب نقول لهم: إن حملات التضليل التي شُنَّت علينا في هذه الآونة الأخيرة لِتُحطم من معنويات الشعب، ولِتُبين للشعب العربي السوري أولاً وللعالم ثانياً أن سورية قد انتهت، وأن هذه الدولة قد أبيدت، فإننا نقول لأبناء هذا الوطن: إنكم عُرفتم على مر التاريخ والعصور أُباة ضيم وذلة ومهانة، فأروا هؤلاء الذين أرسلوا الإرهابيين من الشيشان ومن بريطانيا ومن

فرنسا ومن استراليا ومن غيرها من بلدان العالم أروهم أنكم أسود، أروهم أنكم ستدافعون عن أرض هذا الوطن، لأن الوطن هو شرفكم، هو عرضكم، هو كرامتكم، فيه عزكم، فيه تاريخكم ومجدكم، فلا يُمكن لأي عاقل شريف أن يتخاذل في هذا الوضع الراهن الخطير، فإن أردوغان هذا المتهور يَحشد كل ما لديه ليسقط الدولة السورية، بالتعاون مع دول الخليج الأقزام، ألا يَستفزنا هذا الموقف –يا سادة– أن نقف بأجسادنا مُدافعين عن أرض هذا الوطن الطاهرة، عن أرض هذه البلاد التي دعا لها الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم بالخير واليمن والبركة، كما دعا لليمن الحبيب، وها نحن ذا نَسمع من الكثيرين يقولون: ألا ترون إلى تدمر ها هي قد سقطت، قُلنا في الخطب الماضية: إن المعارك التي يقودها الجيش العربي السوري هي معركة كر وفر، كغيرها من المعارك الشرسة الكبيرة والعظيمة التي حَدثت في التاريخ، ولكننا على الرغم من كل ما يتطاول فيه الإرهاب على بلادنا وعلى إنسانيتنا وعلى أرواحنا نقول لهم: ألا ترون إلى الانتصار في جبال القلمون؟ إن سقوط تدمر الذي أعقبه حشد هائل خطير بتمويل سعودي وقيادة أردوغانية خطيرة ومخابرات أردنية خطيرة، يَقودون هذه المعركة لكي يُموهوا الانتصار المخيف الانتصار العظيم التي تَحقق في سلسلة جبال القلمون.

وأعلمك –أيها السوري– أعلمك منذ ساعات قليلة من صباح هذا اليوم حَرر رجال الله رجال الجيش العربي السوري المشفى الوطني في جسر الشغور، ولله الحمد والمنة، حاصروهم بكل ما أوتوا من قوة وشراسة وعناد، لكن الرجال الأشاوس صَمدوا حتى انتصروا.

إن الانتصارات يحققها الجيش يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، فلماذا لا نُشيد بالانتصارات، ونذكر مدينة أو قرية دخلها الارهابيون لفترة محدودة، وسيُسحقون تحت نعال وأقدام رجال الله رجال الجيش العربي السوري.

أيها السوريون: كلكم يعلم ما تفعله داعش على الأرض، من قتل وإجرام وفساد، وواجبنا نحن كمواطنين أن نحمي بلداننا، أن نحمل السلاح، نعم أن نحمل السلاح، أنت الذي تُدافع عَن وطنك، وأن تقف إلى جانب الجيش العربي السوري، تحية إلى أهلنا في دوما، هؤلاء الذين كانوا مع المسلحين، وقال الكثيرون منهم: كانت عقولنا مغزولة، غَرروا بنا، استخفوا بعقولنا، ضحكوا علينا، فرأيناهم كفاراً لا يَعرفون شيئاً عن الإسلام والمسلمين، غايتهم السرقة والقتل والإجرام والزنى، مِن غير قانون يُحاسبهم، فما كان من هؤلاء الأشاوس إلا أن جمعوا أنفسهم، هم سوريون، –وما أجمل السوريين، وما أعرق الدم السوري– جمعوا

أنفسهم وألفوا جيشاً سَمُّوه جيش الوفاء، سموه جيش الوفاء، وفاءً للجمهورية العربية السورية، وها هم أهلنا في دوما يَتهيئون –أقولها بعلانية وصراحة– يَتهيئون لاستقبال الجيش العربي السوري، حتى يَرفعوا علم الوطن بأيديهم في سماء دوما، هكذا ينبغي أن نكون –يا سادة– والمصالحات الوطنية مفتوحة أبوابها على مصراعيها، مفتوحة لكل سوري، أما الذين جاءنا من الخارج لا، لن يجد أبواباً مَفتوحة، سيجد بندقية تدق عنقه، نعم سيجد بندقية تدق عنقه، لأننا سنقول له: هنا سورية، هنا دمشق، أخطأتم الطريق، يا مرتزقة، ويا صعاليك، إذا كنتم تحبون الجهاد كما تدعون، تُحبون القتال كما تشيدون، تحبون نصر الأمة كما تدعون ها هو الأقصى الشريف، اذهبوا إلى نتنياهو، وحرروا تل أبيب مِن غدرهم وغشمهم وإجرامهم، وقولوا للعالم هذا هو الحق، لأن الله عز وجل أمرنا أن نقف مع الحق، وأن نُقاتل من أجل الحق، وأن نَقف من أجل نصرة الحق، وما حدث –أيها الإخوة– في تدمر من انسحاب هو حفظ على الأرواح، لأن البشر يَهمنا حالهم، كما هو لسان القيادة في هذا الوطن، لأن البشر يهمنا حالهم أكثر من الحجر، لأن الإنسان هو الذي يَصنع الحضارة، هو الذي يصنع التاريخ، هو الذي يقود الأمم والأفراد والجماعات، إلى ما يُسعدهم في دنياهم وفي أخراهم، لا تستمعوا إلى ما يُقال في قنوات التضليل، فنحن منتصرون والمعارك بين كر وفر، ولا تنسوا –أيها السوريون أبداً نعم أبداً– أننا نُواجه دولاً عديدة تَعجز أي دولة عن مواجهة ما حدث في بلادنا، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــــــــة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وان الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك في هذا اليوم المبارك أن تُعيد الأمن والاستقرار إلى ربوع وطننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، اللهم سدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر شعبنا في اليمن الحبيب، أن تنصر الشعب اليمني، اللهم إنا نسألك أن تثبت الطمأنينة في قلوبهم،

وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العراقي الشريف، اللهم إنا نسألك أن تَنصر أهلنا في العراق الحبيب، اللهم إنا نسألك كان تعيد الأمن والأمان في كل بلد أحب سورية، ولكل بلد يتضامن مع سورية، ولكل بلد يقول كلمة الحق ويقف إلى جانب الحق من أجل سورية، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تُحبه وترضاه، واجعله بِشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.